الهدف
سياسية عربية كل الحقيقة للجماهير
AL-HADAF — SAT. 15-3-1975 — No. 294 — VOL. 6 — السنة السادسة — الثمن ٥٠ قرشا
١٥ آذار ١٩٧٥ — العدد ٢٩٤ — السنة السادسة — الثمن ٥٠ قرشا

مسافر

النفط العربي:

من مرحلة السيطرة الامبريالية المطلقة الى مرحلة استعادة السيادة الوطنية

منذ اقدام البلدان المنتجة على رفع اسعار نفطها الخام الى مستويات اكثر عدالة ، بعد حرب تشرين ١٩٧٣ العربية ـ الاسرائيلية ، والاعلام الغربي الامبريالي يشن حملاته التضليلية المنطقة من الزعم القائل بان « فائض » الاموال العربية من عائدات النفط هو سبب رئيسي للتضخم وللازمات الاقتصادية التي تنخر في النظام الراسمالي خاصة . والغرض من هذه الحرب الاعلامية المضللة خلق الاجواء السياسية المؤاتية لعملية النقل الضخمة لعائدات البلدان العربية المنتجة للنفط ، الى البلدان الراسمالية الرئيسية واستبدال نظام الامتيازات بشكل آخر جديد لمواصلة استغلال الموارد النفطية العربية ، وتمكين هذه البلدان الصناعية المستوردة من استعادة الاموال التي تدفعها ثمنا للنفط وتسمية مشروع السرقة التاريخي هذا باسم اعادة تدوير الدولارات النفطية تمويلها .

ولغات الموابيين والعمونيين والمديانيين والعموريين ولهجات الفينيقيين ، وكان لكل من هذه الاقوام ملوك وحكومات تتمتع بمقومات حضارية مستقلة. اما الموسويون ومنهم اتباع داود وسليمان فكانوا مناخرين وهم غرباء طارئون في فلسطين لا يملكون المقومات لكيان حضاري مستقل خاص بهم . اذن فلا مفر والحالة هذه من قبول النظرية

ان الكنعانية كانت هي اللغة السائدة في البلاد في ذلك العصر وان لغة داود وسليمان هي اللغة الكنعانية التي اقتبسها الموسويون من الكنعانيين بعد دخولهم ارض فلسطين .

٦٢ ـ ان هيكل سليمان الذي يمثل حسب وصف التوراة اوج عظمة سليمان هو من صنع الفينقيين الصوريين وقد بني على نمط المعابد الكنعانية ، كما ان قصر سليمان في اورشليم من صنع الفينيقيين وقد بني على طرز العمارة الكنعانية ايضا ، وحتى تسمية الهيكل ماخوذة من كلمة « هيكال » الكنعانية .

٦٣ ـ ان اليهود لم يتركوا اي اثر لكيان سياسي يهودي خاص بهم في تاريخ فلسطين ، ولكنهم تركوا ديانة يهودية متاخرة مقتبسة من تراث كنعاني وبابلي وارامي ومصري وان عهد الملوك بما فيه عهد داود وسليمان كان عهدا كنعانيا بحضارته ولغته وثقافته . اما وصف التوراة لعظمة دولة سليمان واتساع حدود مملكته فهو حشو لا يعدو اسلوب المبالغة الذي اعتاده اقوام تلك العصور .

٦٤ ـ وفي كتاب شخصي ارسله العلامة (مندنهول) رئيس شعبة اللغات والآداب السامية في جامعة ميشيغان الامريكية الى المؤلف جوابا على سؤال وجهه اليه حول المقومات الحضارية في عصر داود وسليمان ، يقول بان اللهجة الكنعانية هي لغة ذلك العصر بدليل ان النبي اشعيا الذي يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد يسمي اللغة « شفة كنعان » اي لسان كنعان . اما فيما يخص دولة داود وسليمان فيقول ما هذا نصه : « منذ عدة سنوات وانا متمسك بالراي القائل ان دولة داود وسليمان لم تكن الا دولة وثنية على نمط الدول الوثنية في الشرق الادنى ... وقد كان هذا تبذا تاما لرسالة موسى النبوية .. »

٦٥ ـ ويرى الكاتب الفرنسي « جان لوي برنار » (Jean Bernard) ان سليمان لم يكن يهوديا وانما كان آشوريا « كان نائب الملك معينا من الخارج » وهو شلمانصر الذي « عبرته » اليهود فحولوا اسمه الى سليمان وقد افتيل على يدهم . ومن اقواله في بحث مطول : « وبصورة عامة لعبت فلسطين دور نائب الملك التابع ، ومهما اوغلنا في تاريخها القديم لا نجدها ابدا قد عاشت مستقلة ، وحتى في ايام داود ، الذي تولى الحكم في القدس ، كانت تدور في الفلك المصري المملاق . وكل فرعون كان يعين نائبا له يختاره من العنصر المحلي . والرومان قد حلوا حلو الفراعنة ، فان هيرودس مثلا كان من عنصر آخر ، كان ادوميا على حد تعبير العهد الجديد، وهذا العنصر قد قاسى من كره اليهود له .. ولو كان سليمان يهوديا لاستحالت الصداقة مع ملكة سبا العربية الى كراهية وبغضاء ، لان اليهود وهم امشاج مختلفة كانوا منبوذين في العالم العربي ... وكان هذا السامي الكردي مرتبطا روحيا بمصر اذا لم يكن هذا الارتباط سياسيا وقد تزوج بامراة مصرية من طبقة روحية عليا تدين بديانة الالهة هاتور .. وان آية الشاعر الملك الرائعة هي « نشيد الانشاد » الذي هو عبارة عن غزل ديني كان سائدا آنذاك ، وهو مصري قلبا ، وقالبا ، نبع خالص من الادب الصولي المصري : (انا سوداء ولكني جميلة) » .

٦٦ ـ لم يؤلف اليهود في اي دور من ادوارهم اكثرية في فلسطين لان السكان الاصليين غير اليهود كانوا يتكاثرون ويستقرون في ارضهم ، في حين ان اليهود كانوا يتقلصون لتعرضهم للاضطهاد والقتل والسبي من دون الاقوام الاخرى في البلاد ، حتى اجلي آخر من بقي منهم في السبي البابلي الثاني سنة ٥٨٣ ق.م ، واستائر الادوميون والنبط وسكان فلسطين الاصليون ، بالبلاد . ثم بعد رجوع بعض اليهود من بابل الى فلسطين في زمن الفرس قضى عليهم الرومان نهائيا سنة ١٣٥ ب.م. وبقي سكانها الاصليون حتى الفتح الاسلامي حيث بقيت فلسطين في يد المسلمين ١٣ قرنا ونصف قرن .

هل فلسطين سلعة لا اهل لها حتى تباع بالوعود ؟

٦٧ ـ ان ما اورده مدونو التوراة من ان هناك وعدا نسبوه الى ربهم « يهوه » بمنح بلاد كنعان لابراهيم ولنسله من بعده ، وما اوردوه ايضا من ان هناك امرا من الاله العلي يقضي بابادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامراة وبين شيخ او طفل واحراق مدنهم وما فيها بالنار ، واحلال اليهود محلهم ، مسالة فيها نظر : فان عزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة الى الله هو من غير شك افتراء محض ، لانه لا يمكن ان تعترف اية ديانة سماوية بابادة بني الانسان وقتل النفس البريئة ، وانه افتراء على النبيين الجليليين ابراهيم الخليل وموسى ان تنسب اليهما الرغبة في ابادة الاقوام وقتل الابرياء ، والمعلوم ان ابراهيم الخليل سكن مع الكنعانيين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق . ثم كيف يكون التوفيق بين هذا الكلام وبين ما ورد في وصايا موسى العشر بقولها : « لا تقتل » ؟ فهذا كله دليل قاطع على ان الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة مختلق من حيث الاساس ، اذ كيف يمكن ان يحمل كلام كهذا طابعا قدسيا ؟..

٦٨ ـ ومن الواضح ان وعد بلفور ان هو الا نسخة طبق الاصل للوعد التوراتي المزيف فكلا الوعدين يهدفان الى تحقيق عملية واحدة من حيث الاعداد والتصميم وهي : طرد سكان فلسطين العرب من مساكنهم بالقوة ، واحلال اليهود محلهم . وهذا التجاوز على حقوق اهل فلسطين لا يمكن ان يدوم ، لانه عمل عدائي صريح مخالف للعدل والانسانية . وكما ازيل الزه في الماضي ، كذلك سيزال عاجلا او آجلا . والحق لا يموت اذا كان له مطالب سخي في التضحية .

وادق تحليل لواقع الحال بالنسبة لقضية العرب واليهود يمكن ان ننهي به هذه المقدمة هو ما كتبه اسحق دويتشر المعلق اليهودي المعروف بتحليلاته للاحداث السياسية الدولية التي كانت تنشر في الصحف الرئيسية لمدة اربعة عشر عاما في اوروبا والولايات المتحدة وكندا واليابان والهند واميركا اللاتينية ، فيخلص من خلال خبرته العملية ومعرفته الدقيقة بالاحوال السياسية والاقتصادية والعسكرية في اسرائيل الى ان النصر الاسرائيلي العسكري يعد كارثة تاريخية بالنسبة للصهيونية على المدى البعيد ، وان الطريق العربي الى النصر على الصهيونية والاستعمار يمر بخطى سريعة نحو تحقيق تطور شامل في بنيان مجتمع عربي موحد مبني على استراتيجية ثورية جديدة يرمي الى التحرر من طوق المطامع الاستعمارية في المنطقة . فيقول دويتشر في كتابه « اليهودي اللايهودي » ما هذا نصه :

« ان الحرب و (معجزة) النصر الاسرائيلي لم تحلا ايا من المشاكل التي كانت قائمة بين اسرائيل ، وبين الدول العربية ، على العكس ، لقد ضاعفت الحرب من خطورة المشاكل القديمة ، وخلقت مشاكل اخرى جديدة اكثر خطورة من المشاكل السابقة ، ثم ان هذه الحرب لم توفر لاسرائيل الامن الذي كانت تنشده، بل جعلتها عرضة للمتاعب اكثر من اي وقت مضى . وانني مقتنع بان النصر الاسرائيلي سيتحول في المستقبل القريب الى كارثة تصيب دولة اسرائيل نفسها ... ان هذا النصر بالنسبة لاسرائيل هو اشد ضررا لها من الهزيمة ، ولقد اضعفها بدلا من ان يوفر لها الامن والاستقرار (ص ٩٢،١٠٦) .

(١٣) « حضارة العرب » ، ترجمة عادل زعيتر ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ (الطبعة الرابعة) .